الكنز الاموي الجديد بدمشق

بقلم : قاسم طوير ـ دبلوم في الآثار الإسلامية وتاريخ الفن

تعريب وتلخيص عن الألمانية : قاسم طوير

سبق أن وضعت المديرية العامة للآثار والمتاحف يدها على كنز من الدنانير الذهبية الأموية بلغ عددها ٥٤٦ قطعة ظهرت في ١٩٥٥/١/١١ بطريق الصدفة خلال أعمال الحفر في دار المدعو أنور ملص الكائنة قرب البيمارستان النوري في الحريقة بدمشق[١] . ولقد عرضت جميعها في إحدى قاعات الجناح الإسلامي في المتحف الوطني . وفي عام ١٩٥٩ تمكن أحد اللصوص من السطو على المتحف الوطني بطريقة غامضة وتم له سرقة تلك المجموعة الثمينة وعمد على إذابتها بشكل سبائك ذهبية أفقدت تلك الدنانير قيمتها الأثرية والتاريخية والفنية إلى الأبد . وهكذا خسر المتحف الوطني وعلم دراسة النقود الاسلامية أنفس وأثمن مجموعة من الدنانير الأموية . ولكن أرضنا العربية السخية لم ولن تبخل يوماً على علم الآثار بما تحويه في باطنها من كنوز ودفائن أثرية ، وهذا ماتم فعلاً في يوم ١٩٦٤/١٢/١٨ عندما تقدم أحد المواطنين إلى مركز شرطة القصاع لينقل إليهم خبراً يفيد بأن أحد العمال وضع يده على كنز ذهبي بدمشق وتصرف به دون إعلام السلطات الادارية أو الأثرية حسبما تنص قوانين الآثار . لقد قام رجال الشرطة على أثر ذلك بالاتصال بالمديرية العامة للآثار والمتاحف التي كلفتني بدورها بالاهتمام بالموضوع .

---

(١) راجع مقال الأستاذ أبو الفرج العش في الجزأين الرابع والخامس من مجلة الحوليات الأثرية لعام ١٩٥٤/٥ من الصفحة ٢١ حتى ٢٨ .

بعد جهود ومساعي حميدة قام بها رجال الشرطة والمباحث الجنائية تمكنت المديرية العامة للآثار والمتاحف من استرجاع كافة المكتشفات. وتتلخص ملابسات الاكتشاف بأن صاحب كراج بور سعيد لتركيب السيارات الكائن على الشارع الذي افتتح مؤخراً بين المجتهد والمزة عبر كفر سوسة أراد أن يجري حفرة بظهر جدار غرفة الورشة وذلك لتصريف مياه المغسلة الكائنة في الغرفة ذاتها، ولقد كلف من أجل ذلك عاملين مؤقتين. خلال أعمال الحفر وعلى عمق حوالي المتر والنصف لامست يداهما قطعاً ذهبية مخلوطة بين التراب. لم يحاول العاملان إخبار صاحب الكراج أو السلطات المسئولة بل عمدا على التقاط جميع القطع خلسة وأنهيا أعمال الحفر وانصرفا، ثم قاما ببيع القسم الأعظم منها إلى الصيارفة والصاغة في دمشق وضواحيها.

بعد معاينة القطع البالغ عددها مائة وستة وثلاثون ديناراً تبين أن جميعها من الدنانير الذهبية الأموية وتتمتع بحالة جيدة للغاية وتتراوح تواريخها بين سنة ٧٩ هجرية (٦٩٨/٩ م) و ١٢٥ هجرية (٧٤٢/٣ م).

أرجو من القارىء الرجوع إلى نفس هذا المقال المنشور في القسم الأجنبي من هذا العدد لتدقيق اللائحة رقم ١ حيث عمدت فيها إلى تصنيف الدنانير بشكل متسلسل حسب تاريخها مع ذكر عدد القطع من كل فئة واسم الخليفة الأموي المعاصر لكل منها.

قبل البدء في بحث هذه المجموعة من الدنانير لا بد من التنويه بأنني اعتمدت في معلوماتي العامة في هذا المقال بصورة رئيسية على المؤلف القيم الذي أصدره الباحث الأستاذ ج. ووكر حول مجموعة النقود الأموية المحفوظة في المتحف البريطاني(١). كما أنني أرجو أن يكون مقالي هذا اسهاماً متواضعاً في الدراسات النقدية الأموية التي لا يزال الغموض يحيط بالكثير من جوانبها.

من المعلوم أن السكة العربية الإسلامية كانت تضرب في البدء على الطريقة البيزنطية والساسانية واستمر الأمر على ذلك إلى أن جاء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وأدخل الإصلاح عليها وبدأ بضرب النقود ذات الطابع العربي البحت. وكان ذلك في عام ٧٧ هجرية الموافق لسنة ٦٩٦/٧ م.

ترجع جميع الدنانير موضوع هذا البحث إلى ما بعد عهد الاصلاح النقدي كما أنها تؤلف فئتين رئيسيتين ، تتميز الأولى بأنها لا تحمل اسم مكان الضرب أما الثانية فتعطي اسم « افريقية » مكاناً لسكها وعددها خمسة وترجع لسنة ١٢٢ هجرية الموافقة لسنة ٧٣٩/٤٠ م . من المتعارف عليه في علم النقود الأموية أن الدنانير الذهبية منها لا تحمل اسماً لمكان الضرب ما عدا ثلاثة فئات هي :

١ ـ الدنانير الذهبية الأموية التي تعطي اسم « افريقية » مكاناً لضربها ويعتقد بأنها كانت تسك في القيروان .

٢ ـ الدنانير الذهبية الأموية التي تعطي اسم « الأندلس » مكاناً لسكها ، ويعتقد بأنها كانت تضرب في قرطبة .

٣ ـ الدنانير الذهبية الأموية التي كانت تضرب في « معدن أمير المؤمنين بالحجاز » .

أما الدنانير التي لا تحمل اسماً لمكان الضرب فيعتقد بأنها كانت تضرب بدمشق عاصمة الخلافة الأموية . كذلك يقال بأن واسط بالعراق كانت مكاناً لسك الدنانير الذهبية الأموية ، إلا أن الدينار المنسوب إلى واسط والمنشور من قبل الأستاذ آدلر لا يزال موضوع خلاف بين علماء النقود الإسلامية (٢) .

لا تتمتع جميع الدنانير الأموية بصيغة موحدة للنص الكتابي المضروب على وجه الدينار وظهره بل هناك صيغتان معروفتان ، تسمى الأولى الصيغة الشرقية ويقصد بها النص المكتوب على الدنانير المضروبة في القسم الشرقي من أرجاء الخلافة الأموية وبصورة خاصة الدنانير التي لا تحمل اسماً لمكان السك والتي يعتقد بأن دمشق كانت مكاناً لضربها ، ثم الدنانير التي ضربت في « معدن أمير المؤمنين بالحجاز » . أما نص الكتابة فهو كما يلي :

	الوجه	الظهر
الوسط :	لا إله إلا الله وحده لا شريك له	الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد
الهامش المستدير :	محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله	بسم الله ضرب هذا الدينار (في) سنة .....

أما الصيغة الثانية فتعرف باسم الصيغة الغربية ويقصد بها الدنانير التي ضربت في القسم الغربي من أرجـــاء الخلافة الأموية والتي تعطي اسم « إفريقية » أو « الأندلس » اسماً لمكان سكنها ونصها كما يلي :

	الوجـــه	الظهـــر
الوسط :	لا إله إ	بسم الله
	لا الله	الرحمن
	وحده	الرحيم
الهامش المستدير :	محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق	ضرب هذا الدينـار (بالأندلس) (بافريقية) سنة . . . .

فيما يتعلق بالمجموعة موضوع هذا المقال فان جميعها وبما يضم الدنانير التي تحمل اسم إفريقية تتمتع بالصيغة الشرقية ، هذا وسنأتي فيما بعد على معالجة هذه الظاهرة .

لقد عمدت في دراسة مواصفات دنانير هذه المجموعة على تصنيفها في لائحتين تضم الأولى منها الدنانير التي لا تحمل اسماً لمكان الضرب ، والثانية الدنانير التي تحمل اسم إفريقية كما جهدت أن أبين جميع تفاصيل المواصفات الفنية التي يمكن أن يستفيد منها المتخصص في دراسة النقود. ونظراً لاعتماد غالبية المعطيات على الأرقام فانني لم أحاول ترجمة اللوائح إلى العربية ، وذلك تفادياً للتكرار ، ولكن مع هذا لا بد لي من ترجمة عناوين الحقول إلى العربية ليسهل للقارىء العربي معرفة المواصفات والأرقام المعنية (أرجو من القارىء الرجوع إلى اللائحتين ٢ و ٣ المنشورة في نفس هذا المقال بالألمانية من هذا العدد) .

أما معاني عناوين الحقول فهي كما يلي من اليسار إلى اليمين :

الحقل الأول : رقم سجل الدينار في الفرع الاسلامي من المتحف الوطني بدمشق .

الحقل الثاني : تاريخ النقد حسب التقويم الهجري والميلادي .

الحقل الثالث : قطر الدينار بالميليمتر .

الحقل الرابع : وزن الدينار بالغرام .

الحقل الخامس : تطابق محوري الضرب على الوجه والظهر ، فكلمة Gonzentrisch تعني أن الوجه والظهر ضرباً على محور واحد ومتطابق ، أما كلمة Exzentrisch فتعني العكس .

الحقل السادس : الأحرف المنقطة .

الحقل السابع : وجود كلمة (في) قبل كلمة (سنة) أو عدم وجودها .

الحقل الثامن : موضع حرف الواو التابع لكلمتي (لم يولد) في نص الوسط على الظهر الذي يكون أحياناً في السطر الثاني أو الثالث .

الحقل التاسع : موقع بداية نص الهامش المستدير على الوجهين (V = الوجه ، R = الظهر) وذلك حسب نظام الساعة الذي استخدمه الأستاذ ج . ووكر في مؤلفه المنوه عنه أعلاه وفي الصفحة ٨٤ .

الحقل العاشر : ضبط كتابة الكلمات ، مثل كلمة اثنتين وإذا كانت تكتب بألف أو بدونها .

الحقل الحادي عشر : النقاط السرية ويقصد بها النقـــاط الموجودة تحت أو فوق أحرف لا يستلزم وجود نقطة عليها بحيث اعتقد إخصائيو دراسة النقود بأنها قد تكون إشارة سرية من قبل عمـال السكة للتدليل على مكان الضرب بشكل غير علني ، ورغم أن هذا الاحتمال لا يزال موضوع نقاش بين الاخصائيين فانه من الضروري بيان وجود مثل هذه النقـــاط لتكون بين أيدي الباحثين في المستقبل عندما يكشف المرء تفسيراً لها .

الحقل الثاني عشر : شكل الخط وتطوره .

أما اللائحة رقم (٤) المنشورة في القسم الأجنبي من هذا العدد فتبين تطور كتابة الأحرف عبر السنين وضمن هذه المجموعة . هذا ويؤكد ج . ووكر ضرورة بيـان جميع التفاصيل المتعلقة بالدنانير مها كان نوعها فهي إن لم تكن مجدية اليوم فستكونه غدا .

إذا دققنا المواصفات المعطاة في اللائحتين (٢) و (٣) نجد ما يلي :

١ — تظهر كلمة (في) قبل كلمة (سنة) في الهـامش المستدير لظهر الدنانير التي ترجع إلى عام ٧٩ و ٨٠ هجريه بينما تختفي في دنانير السنوات اللاحقة .

٢ — لم يجر ضرب وجه وظهر جميع الدنانير على محور واحد ومتطابق أي أن قسماً منها كان يتم بضربة واحدة والقسم الآخر بضربتين .

٣ = لا تتمتع الدنانير بوزن موحد بل تتراوح اوزانها بين ٤،٢٣٠ غ و ٤،٢٩٠ غ وهذا راجع لعدم كون رقائق الذهب من سمك متساو .

٤ — لا يتمتع شكل الدنانير بدائرة متساوية النقاط بحيث يختلف القطر من دينار لآخر بشكل تتراوح الاقطار بين ١٩ و٢٠ مم في الدنانير التي لا تحمل اسماً لمكان الضرب بينما يصل إلى ٢٢ مم وبشكل ثابت في الدنانير الخمسة التي تعطي اسم « إفريقية » مكاناً لسكها .

٥ = تقع الواو النابعة لكلمتي (ولم يولد) في نص الوسط على الظهر في السطر الثالث .

٦ — كتب العدد (اثنتين) بدون ألف أي (ثنتين) في الدنانير التي لا تحمل اسماً لمكان الضرب والتي ترجع لسنة ٩٢، ١٠٢، ١٢٢ بينما كتبت صحيحاً « اثنتين » في الدنانير الخمسة التي تعطي اسم « إفريقية » مكاناً لسكها .

٧ — نقطة فوق ضاد (ضرب) على دنانير سنة ٨٧ هـ .

٨ — نقطة تحت باء (ضرب) على دنانير سنة ٩٢، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥ .

٩ — نقطتان فوق بعضها البعض (:) تحت ياء يولد على دنانير سنة ٨٤، ٨٨، ١٠٧ .

١٠ — نقطتان جانب بعضها البعض (..) تحت ياء يولد على دنانير سنة ١٢٢ هـ التي تعطي اسم إفريقية مكاناً لضربها .

١١ — نقطة تحت باء سبع على دنانير سنة ٨٧ هـ .

١٢ — نقطتان فوق بعضها البعض (:) تحت ياء (دين) على دنانير سنة ٨٩ .

١٣ — اختفاء النقط عن الأحرف على الدنانير اللاحقة لسنة ١٠٩ هـ ما عدا دنانير سنة ١٢٢ هـ التي تحمل اسم إفريقية .

١٤ — يتسم الخط في دنانير سنة ٧٩ حتى سنة ٩٥ بالاستدارة والانتفاخ وفيما بعد أي بعد سنة ٩٥ هـ يلاحظ وجود تضخم كروي شبيه بالنقط في بدايات ونهايات الحروف ولكن باستثناء الدنانير الموصوفة بالأرقام ١٦٢١١، ١٦٢١٢، ١٦٢١٤، إضافة إلى ذلك نلحظ وجود عدم استمرار في نوعية الخط على الدنانير التي تعود إلى ما بين سنة ٩٥ هـ و ١١٠ هـ حيث نجده مرة مستديراً

وأخرى مستقيماً ومائلاً، ومرة رفيعاً وأحياناً طويلاً وممدوداً، إلا أنه يعود ويتمتع بالاستقرار النوعي من عام ١١٠ حتى ١٢٥ هـ حيث يتصف بشكل عام بالاستقامة والرفع.

نعود الآن لمعالجة ظاهرة تشابه النص الكتابي في الدنانير المضروبة في شرقي وغربي بقاع الخلافة الأموية التي لاحظناها أعلاه. انطلاقاً من المعلومات المتوفرة لدى إخصائيي النقود الأموية من خلال المجموعات النقدية المحفوظة في المتاحف العالمية نجد أن جميع الدنانير التي لا تحمل اسماً لمكان الضرب قد تبنت الصيغة الشرقية منذ بداية الاصلاح النقدي عام ٧٧ هـ حتى نهاية العصر الأموي في ١٣٢ هـ بينما تبنت أجزاء الدينار (النصف، الثالث) التي لا تحمل اسماً لمكان الضرب الصيغة الغربية من عام ٩٠ هـ حتى ١٠٦ هـ ثم تبنت بعد ذلك أي منذ عام ١٠٧ هـ الصيغة الشرقية مما حدا بالأستاذ ج. ووكر للاعتقاد بأن أجزاء الدنانير التي لا تحمل اسماً لمكان السك لم تضرب بدمشق كما هو الحال بالدنانير الكاملة بل في إفريقية أو الأندلس.

فيما يتعلق بالدنانير التي تحمل اسم إفريقية فقد تبنت الصيغة الغربيـة حتى سنة ١١٣ هـ ثم تبنت بعد ذلك التاريخ الصيغة الشرقية أما دنانير الأندلس فقد اتبعت الصيغة الغربية لغاية سنة ١٢٦ هـ ثم تبنت بعد ذلك الصيغة الشرقية.

نلاحظ من خلال ذلك وجود اتجاه لتوحيد صيغة النص الكتابي على الدنانير في جميع أرجاء الخلافة الأموية ابتداء من عام ١٠٦ هـ في المشرق الاسلامي والذي نضج عام ١١٤ هـ على الأقل في المغرب الاسلامي. يمكننا تفسير هذه الظاهرة على أساس أنها نوع من محاولات مركزية السلطة الأموية التي بدأ بهـا الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الذي حكم بين سنة ١٠٥ و ١٢٥ هـ. إضافة إلى ذلك يقال بأن عملية ضرب الدنانير في عهد هشام ومنذ عام ١٠٦ هـ حصرت في مدينة واسط دون غيرها ان لم تكن إلى جانب العاصمة دمشق وبالتالي أبطل ضرب السكة في أي مكان آخر من بقاع الخلافة الأموية بعد ذلك. ويمكننا تأكيد ذلك إذا رجعنا إلى ما ذكره المؤرخ المقريزي بهذا الخصوص(١).

« فلما قام هشام بن عبد الملك وكان جمّاعـاً للمال أمر خالد بن عبد الله القسري في سنة ستة ومائة من الهجرة أن يعيد العيار إلى سبعة دوانيق وأن يبطل السكك في كل بلد إلا واسط

(١) النص نقلاً عن ج. ووكر في مؤلفه المنوه عنه أعلاه صفحة ٦٣ الذي نقله أصلاً عن ماير الذي يملك النسخة الأصلية لمخطوطة المقريزي في مدينة لايدن بهولندا.

فضرب الدراهم وحدها حتى قتل فقط وكبر السكة وضربت الدراهم على السكة الخالدية حتى عزل خالد في سنة عشرين وماية وتولى بعده يوسف بن عمر الثقفي فصغر السكة وأجراها على وزن ستة وضربها بواسط وحدها حتى قتل الوليد بن يزيد في سنة ست وعشرين وماية » .

كذلك يدّعي الأستاذ مارسيل يونغ فلايش في مقاله « النقاط السرية » المنشور في مجلة المعهد الفرنسي المصري العدد ٣١ سنة ١٩٤٩ في الصفحة الثالثة بأن الأستاذ جاك دو مورغان قد اكتشف خلال حفرياته التي قام بها بواسط مخزوناً كبيراً من النقود الفضية (الدراهم) الأموية الجديدة السك والتي تعطي اسم إفريقية والأندلس مكاناً لضربها مما حمله للاعتقاد بأنها ضربت بواسط خصيصاً من أجل شحنها إلى المغرب الاسلامي والأندلس وذلك بعد عملية حصر ضرب السكة بواسط دون غيرها حسب معطيات المقريزي وانطلاقاً من ظاهرة توحيد الصيغة الكتابية المنوه عنها أعلاه.

وأخيراً وليس آخراً لا بد من التنويه إلى ناحية أخرى يمكنها أن تدعم هذه الفرضية وهي أن كلمة « اثنتين » كتبت صحيحاً بألف على دنانير سنة ١٢٢ ه التي تحمل اسم إفريقية كما هو الحال في الدراهم الفضية المضروبة بواسط والتي تعود إلى نفس التاريخ .

إلى أي مدى يمكن لمجموعتنا موضوع هذا البحث دعم هذه الفرضية ؟

١ — هناك تطابق من ناحية الصيغة الموحدة بين الفئتين التي تعطي اسم إفريقية مكاناً للضرب وبين الدنانير التي لا تحمل اسماً لمكان الضرب .

٢ — اثنتين كتبت صحيحة بألف على دنانير سنة ١٢٢ ه التي تحمل اسم إفريقية كما هو الحال في دراهم واسط من نفس التاريخ المنشورة في مجموعة المتحف البريطاني والتي نوهعنها ج. ووكر .

٣ — الخط يتخذ صفة متشابهة وعامة على جميع الدنانير بعد عام ١١٠ ه أي خلال فترة محاولة هشام لمركزية السلطة وسك النقود ، إضافة إلى ذلك نجد تطابقاً كبيراً في نوعية الخط بين دنانير ما بعد عام ١١٠ ه وبين الدراهم الفضية المضروبة في واسط والتي ترجع إلى نفس التاريخ.

إن الباب سيكون مفتوحاً لجميع الاخصائيين لتوضيح وسد الثغرات الكثيرة في علم النقود الأموية وخاصة الدنانير الذهبية منها واني على يقين من أن أرضنا العربية المعطاة ستمدنا في المستقبل القريب أو البعيد بالوثائق والعينات الأثرية والتاريخية التي من الممكن أن تضع حداً للفرضيات والتكهنات لتفسير الظواهر الغامضة في علم النقود الأموية .

قاسم طوير
دبلوم في الآثار الاسلامية وتاريخ الفن
محافظ الفرع العربي الإسلامي والفرع الحديث في المتحف الوطني بدمشق
أستاذ محاضر لمادة تاريخ الفن الإسلامي والحديث في كلية الفنون الجميلة بجامعة دمشق